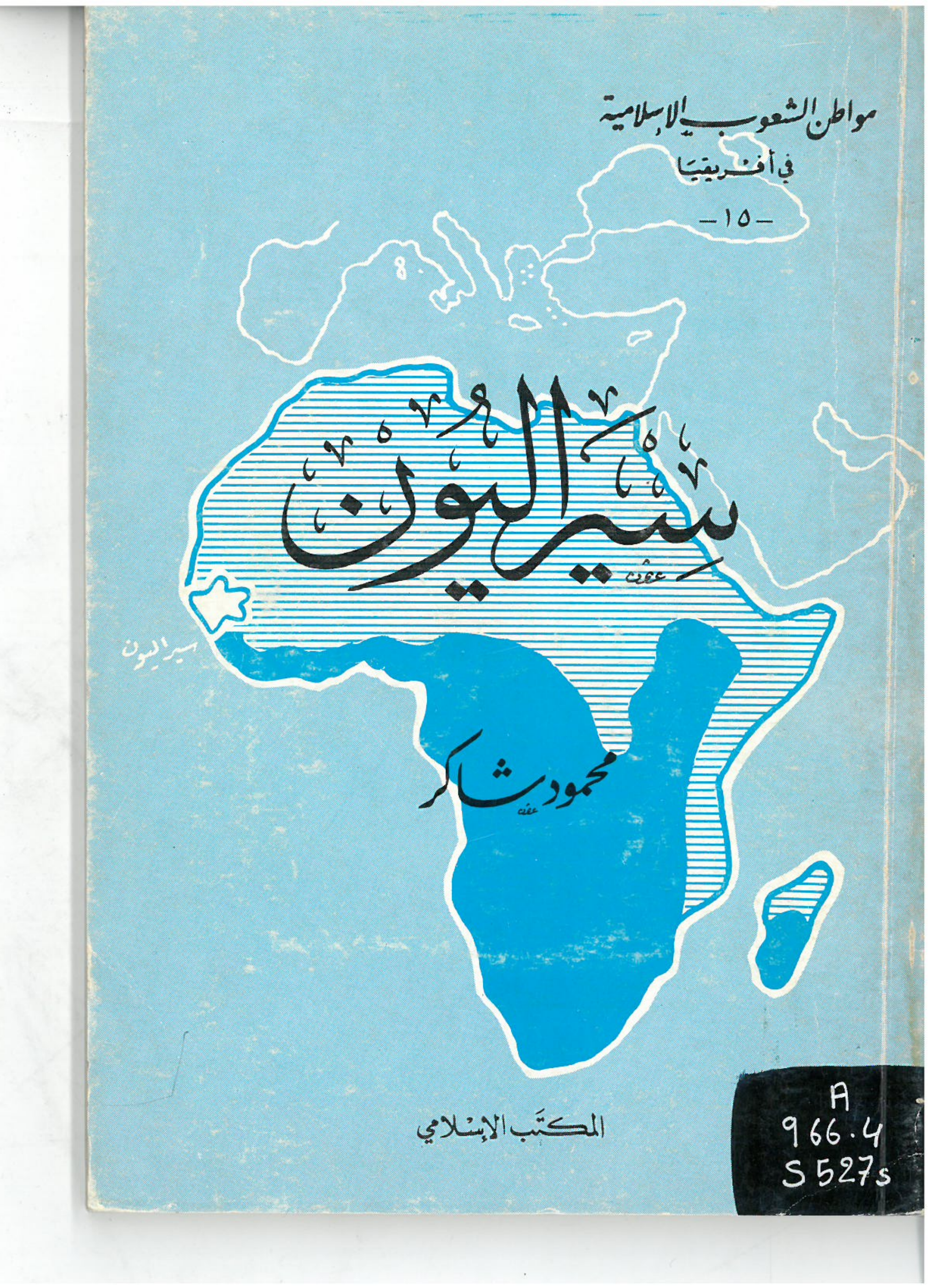
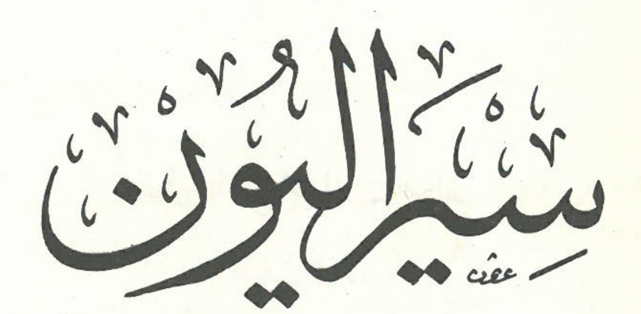

مواطن الشعوب الاسلامية
في أفريقيا
-١٥-
سيراليون
سيراليون
محمود شاكر
المكتب الإسلامي

مواطن الشعوب الإسلامية
في أفريقيا
-١٥-



محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

المكتب الاسلامي

بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً : اسلاميا

دمشق : ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً : اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أجمعين وبعد : فإنه على الرغم من سيادة الإسلام في غربي إفريقية إلاَّ أن أكثر المسلمين لا يعرفون عن هذا الأمر شيئاً ، ويجهلون حالة إخوانهم هناك جهلاً يكاد يكون تامًّا ، ويعود ذلك للأوضاع السائدة في تلك المنطقة ، والحالة التي نعيش عليها الآن .

انتشر الإسلام في غربي إفريقية في الوقت الذي كان فيه المسلمون على درجة من الضعف حيث تجزأت دولتهم ، وقلَّ شأنهم ، وطغى عليهم غيرهم ، وسيطر على بلادهم عدوهم ، وانحصرت معرفة الناس على البقاع الصغيرة التي تقيم فيها جماعتهم ، وقد تتجاوز قليلاً فتصل إلى المناطق المقدسة تصل إليهم أخبارها من الحجاج والزوَّار الذين ما انقطعت رحلاتهم إلى تلك البقاع أبداً .

أطلق المستعمرون على تلك الجهات في غربي إفريقية أسماء أجنبية حديثة ، لا تتصل بتاريخ المسلمين ولا بحاضرهم ، أسماء تدل

على أن عقائد أهلها لا تمتّ إلى الإسلام بصلة ، ومن يسمع تلك الأسماء يظنّ أن أهلها لا يتصلون بهم بعقيدة ، ولا يرتبطون معهم بوشيجة .

أخفى المستعمرون انتشار الإسلام في تلك الجهات ، إذ كانوا يعطون نسباً ضئيلة للمسلمين لا تصل إلى معشار الحقيقة ، وذلك لإبعاد المسلمين عن السلطة ، وحتى لا تتفتح عيون إخوانهم في بقية بقاع الأرض فيقيمون معهم صلات ، ويهتمون ببلادهم ، ويرحلون إليهم ، ويتبادلون معهم الأفكار . واستمر ذلك بعد الاستقلال إذ سلّم المستعمرون السلطة إلى الأقليات الذين يلتقون معهم بالعقيدة حفاظاً على مصالحهم ، وإبقاءً للرابطة بين الحكام الجدد والسابقين لهم ، فكان الحكم الجديد تتمة واستمراراً للاستعمار وارتباطاً به .

عاش المسلمون في هذه الأراضي في حالة من الجهل نتيجة السياسة التعليمية التي سار عليها المستعمرون وعملاؤهم والتي تقضي بتخصيص المدارس والمشافي للذين يدينون بعقيدتهم ، ويخضعون لدينهم ، في سبيل استمرار تسلمهم السلطة والتحكّم بالمسلمين .

كان المسلمون في تلك البقاع قد خضعوا للإسلام منذ مدة قصيرة ، ولم يصل إليهم بشكل صافٍ خالٍ من الشوائب لضعف المسلمين آنذاك ، فلم تتحرر أفكارهم بشكلٍ صحيح مما كانت تحمل في السابق من عقائد الوثنية وعادات الديانات القديمة ، الأمر الذي بدا فيه الإسلام هناك مختلفاً عن حقيقته ، وهذا ما جعل الأوربيين يفرقون بين إسلام السود وإسلام البيض لزيادة الكره وإيجاد التفرقة بين الطرفين ، كما ادعوا أن الإسلام جاء غريباً عن عقائد البلاد ، وذلك

في سبيل إبعاد الناس عنه . وكان من نتائج هذا أن وُجِّه النقد إلى الإسلام لما يشوبه من شوائب في تلك الجهات ، وإلى المسلمين الجدد في تلك المناطق لما بقي عندهم من رواسب جاهلية حتى أنكر بعض المسلمين أن يكون هؤلاء منهم .

انتشرت فكرة العصبية بين المسلمين في بقية البلدان الإسلامية ، وقد جاءتهم دخيلة من الغرب ، فتقوقعوا في مناطقهم ، ولم يهتموا بغيرهم ، هذا إضافة إلى أن حكامهم قد ساروا بهم أشواطاً بعيدة عن العقيدة ، وانحرفوا بهم عن دينهم ، ومن سار في الطريق الصحيح لقي العنت والعذاب ، وقصرت بهم الحياة عن السعي ، اللهم إلا النفر اليسير الذين لا يستطيعون أن يقدموا أية خدمة لعقيدتهم . وهذا ما جعل عدم إمكانية الوصول إلى غربي إفريقية والاتصال بإخوانهم هناك وتصحيح أفكارهم وتبادل الآراء معهم ، ومن وصل إلى ذلك المكان كان تاجراً فقط يهمه الربح وتشغله المصالح التجارية .

كما أن الحياة المادية التي امتاز بها هذا العصر ، والتي لفّت الناس في خضمها لفًّا ، لا يستطيعون معها العيش بفكرٍ سليم ، وقد أبعدت المسلمين عن البحث عن إخوانهم والتفكير فيهم ، ولا شك أن المادية المعاصرة قد وجهت لهذه الغاية ، إضافة إلى أن متطلبات العصر التي تستجد كل يوم وباستمرار تسير بالناس نحو التفكير المادي البحت .

وسيراليون من هذه المناطق التي لا نكاد نعرف عنها شيئاً ، لذا أحببت أن يطلع على هذه المنطقة الراغب في العلم ، والمحب

لإخوانه ، والمفكر في شؤونهم ، ويقرأ من ينظر إلى العقيدة على أنها أساس الحياة وصلة القربى في المجتمع ، ويعلم أن المسلمين هم هدف سهام المستعمرين بالدرجة الأولى ، ولا عدو لهم سواهم ، وإن كان هذا بشكل مختصر ، إذ أن التوسع يملّ القارىء ، ويسير به نحو الإهمال اللهم إلاّ إذا كان ذا اختصاص أو محبًّا للتوسع في موضوع معين ، وعندها يريد البحث المستفيض ، فيصل إلى ما ينبغي بالدراسة والتقصي ، لذا كان من واجبي أن أقدم الخطوط العريضة في سبيل شحذ الهمة والدفع إلى النشاط .

فأرجو أن أوفق في عملي هذا ، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم ، وما توفيقي إلاّ بالله العلي العظيم ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

لمحة جغرافيّة

سيراليون منطقة صغيرة في غربي إفريقية لا تزيد مساحتها على ٧٢،٦٦٤ كيلومتر مربع ، فهي لا تزيد على مساحة ثلاثة أرباع المملكة الأردنية الهاشمية . تحدها غينيا من الشمال والشرق ، وليبيريا من الجنوب ، والمحيط الأطلسي من الغرب ، ويعود ضيق رقعة الأرض إلى عدم إمكانية تغلغل الانكليز إلى الداخل بسبب امتداد المستعمرات الفرنسية في الداخل والتي تمتد في غينيا . وما وراءها . ويبلغ طول سواحلها ما يزيد على ٣٣٥ كيلومتراً .

وقد عرفت هذه المنطقة بهذا الاسم عام ٨٦٧ هـ ، إذ أطلقه عليها الرحالة البرتغالي (داسنترا) إذ عندما وصل إلى سواحلها كثرت الغيوم وومضات البرق ، وارتفعت أصوات الرعد التي تشبه زئير الأسد ، فأطلق عليها هذا الاسم ، ويعني جبال الأسد ، حيث ترتفع سواحل شبه جزيرة جنوب (فريتاون) إلى ٦٥٠ م .

المعالم الطبيعية :

تقع سيراليون في السفوح الغربية لمرتفعات (فوتاجالون) ، وتكون حدودها الشرقية ذرا هذه الجبال ، وتعد خطوط تقسيم المياه بين نهر النيجر الذي ينحدر نحو الشمال الشرقي ، ويرسم قوساً ، ثم ينحدر نحو الجنوب ليصب في المحيط الأطلسي ، وبين الأنهار العديدة التي تنحدر نحو الغرب والجنوب الغربي لتصب في المحيط الأطلسي مباشرة .

تتألف أرض سيراليون من سهل ساحلي تكثر فيه المستنقعات والبحيرات الساحلية ، ويزيد عرضها على ٣٢ كيلومتراً ، وقد استصلح بعضها وبخاصة في الجزء الشمالي عند مدينة (بورت لوكو) ، وإلى الشرق منها تنتشر منطقة السافانا التي تنمو في المياه العذبة إثر موسم الفيضان في فصل الصيف ، وفي الجنوب تنمو في المستنقعات بين (سوليما) و (بونتي) أشجار نخيل (الرافيا) التي يؤخذ منها ألياف (البياسفا) التي تستخدم في صناعة المكانس ، وتغمر المياه العذبة هذه المستنقعات أثناء الفيضان . ويلي هذه المنطقة المستنقعية نحو الشرق سهل يمتد بعرض ١٦٠ كلم ، ولا يزيد ارتفاعه على ١٣٠ م .

وتبدأ بعد ذلك الأرض بالارتفاع شرقاً مكونة السفوح الغربية لكتلة (فوتا جالون) القديمة والمكونة من الصخور البلورية كالغرانيت وغيره ، وتغطيها الغابات الاستوائية ، وقد جرفت المياه الجارية والأمطار الغزيرة التربة عنها ، ويصل الارتفاع إلى ١٩٤٨ م . وتكثر التلال المنعزلة بين السهل والمرتفعات .

وخط الساحل رملي كثير التعرجات ، يتداخل البحر فيه على شكل ألسنة تصب فيها الأنهار ، كما تكثر الجزر الساحلية وأكبرها جزيرة (شيربرو) .

المناخ :

تقع سيراليون بين خطي عرض ٦،٥٥ - ١٠ شمالاً ، وهذا ما يجعلها تقع ضمن الاقليم السوداني ، فهو حار رطب في الصيف ،

تكثر فيه الملاريا وبخاصة في المناطق الساحلية .

ترتفع الحرارة في أكثر أيام العام ، وإن كانت تختلف بين المناطق الساحلية والمرتفعات ، إذ تقل الحرارة في الداخل حيث ترتفع الأرض، ويعدل ذلك قليلاً من الحرارة .

وتختلف الأمطار كذلك بين الساحل والداخل حيث تزداد في الداخل مع الارتفاع أيضاً ، كما تختلف بين الجنوب والشمال ، إذ تعد قليلة نسبياً في الشمال إذ يصبح المناخ سودانياً شمالياً ، ويصبح العام فصلين ، فصل حار رطب وهو الصيف ، وآخر جاف هو فصل الشتاء ، وتصل الأمطار في (سوليما) في أقصى الجنوب إلى ٤ ، ٤ أمتار في العام بينما لا تزيد على نصف هذه الكمية في (كابالا) في الشمال الغربي من البلاد ، وتهب على الجزء الشمالي رياح (الحرمطان) بين وقت وآخر ، وهي رياح شمالية شرقية جافة قادمة من داخل القارة ، وتصل أحياناً إلى الساحل ، وتحمل معها سحباً من الغبار الناعم ، يطلق عليها البحارة اسم (الدخان) .

وأنهار سيراليون كثيرة غزيرة تنبع كلها من المرتفعات في الشرق ، وتتجه نحو الغرب والجنوب الغربي لتصب في المحيط الأطلسي ، وهي دائمة الجريان وأشهرها :

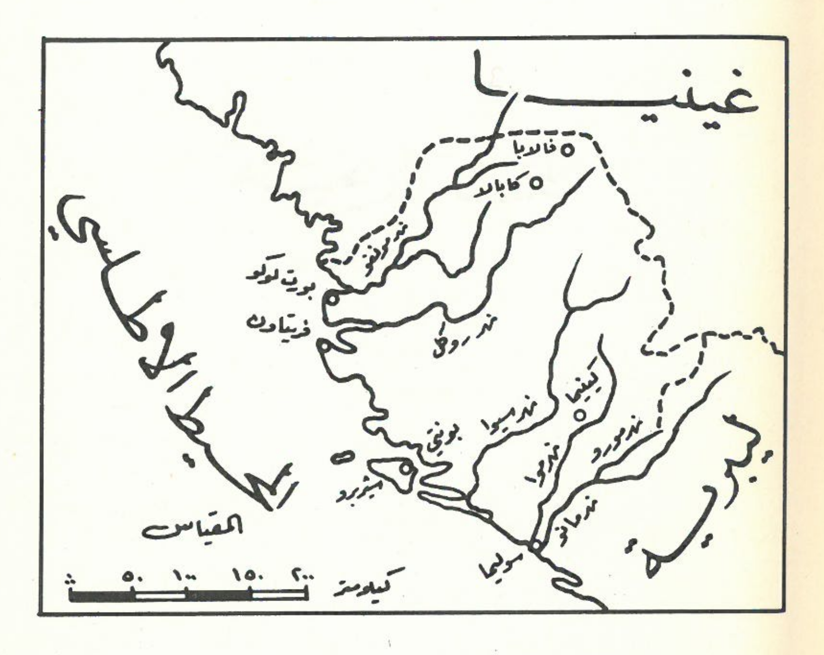
نهر (مانو) الذي يشكل الحدود مع ليبيرية في مجراه الأسفل ، والذي يرفده نهر (مورو) الذي يشكل بقية الحدود مع ليبيرية .

نهر (موا) الذي تقع عليه مدينة (كينيما) ، ويصب عند مدينة (سوليما) .

ونهر (سيوا) الذي يتألف من عدة روافد كبيرة ، ويتفرع عند مصبه في البحيرات الساحلية والمستنقعات .

ونهر (روكل) الذي يصب في خليج (فريتاون) .

ونهر (مونغو) في الشمال .



لمحة تاريخيّة

كانت أرض سيراليون من القديم مسرحاً لتنقل القبائل البدائية التي تعيش في غاباتها وعلى سواحلها ، وكانت المنطقة تعرف لدى سكانها القدماء باسم « رومارونغ » ، وقد خضعت في القرن السابع الهجري لمملكة مالي ، وفي القرن الثاني عشر لمملكة « فوتاجالون » ، وكلاهما كان المسلمون يحكمونها .

ولما كانت مملكتا (مالي) و (فوتاجالون) تتركزان في الداخل لذا لم تكن لسواحلهما قوة بحرية تحميها ، الأمر الذي جعل البحارة يلجؤون إليها دون وجود قوة تمنعهم ، وهذا ما جعلها مراكز للملاحين من أية جنسية كانوا ، ومن أي مكان أتوا .

وفي ذلك الوقت ومنذ القرن التاسع كان النصارى من إسبان وبرتغاليين يقاتلون المسلمين في الأندلس ، ويفتشون على طرق لهم يستطيعون منها الإحاطة بالمسلمين ، وقد سار البرتغاليون على سواحل إفريقية الغربية ـ حسب اتفاقية بين الطرفين ـ واستطاعوا الوصول إلى سواحل سيراليون الحالية عام ٨٦٧ هـ ، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم ، ولم تمض مدة طويلة حتى أصبحت لهم مراكز على تلك السواحل ، ومصانع أيضاً في القرن العاشر .

وجاء الانكليز أيضاً إلى تلك الجهات وقد امتهنوا تجارة العبيد ، وتمكّنوا من أن تكون لهم موطىء قدم ، ثم اشتروا في بداية القرن الثالث عشر قطعة أرض من أحد زعماء البلاد لتكون مستعمرة لهم ، يُسكنون فيها الزنوج المسرَّحين من الجيش والبحرية بعد انتهاء حرب الاستقلال الأمريكية ، وينقلون إليها الزنوج الذين التجؤوا إلى لندن ، وأقاموا في ضاحية من ضواحيها . وكان نواة سكان هذه

المستعمرة التي تشمل شبه جزيرة صخرية تقع جنوب (فريتاون) الحالية أربعمائة زنجي وستين أوربياً معظمهم من النساء السيئات السيرة والسلوك ، وربما كانت خطةً وراء تكوين هذا المزيج من السكان ، إلا أن هذه المستعمرة قد فشلت فشلاً ذريعاً في إنشائها ووضعها .

وبعد أربع سنوات (عام ١٢٠٦) أنشئت مستعمرة جديدة من قبل شركة سيراليون ، وجُلب إليها بعد عام من تأسيسها (١١٠٠) زنجي للعمل فيها ، ولم تمر ثلاثة أعوام حتى نهب الفرنسيون هذه المستعمرة التي عرفت باسم (فريتاون) .

وفي عام ١٢٢٢ هـ نقلت الشركة حقوقها إلى التاج البريطاني ، ولكنه في العام نفسه الغيت تجارة العبيد ، وعدها المجلس النيابي الانكليزي تجارة غير مشروعة ، ولم يكن هذا الإلغاء من قبل انكلترا إنسانيةً ، وإنما من أجل تخفيف نقل الأيدي العاملة الزنجية الرخيصة إلى أمريكا ، والتي تعمل في زراعة القطن ونسجه ، والصناعات الأخرى التي يمكن أن تنافس الصناعات الانكليزية المثيلة لها لرخصها حيث تقوم على العمل بها أيد رخيصة أو بلا أجر حيث أنها من العبيد ، على حين لا يوجد ذلك في انكلترا . لهذا جُلب إلى مستعمرة سيراليون الزنوج الذين قبضت عليهم أيد انكليزية من جهات متعددة والذين كانوا في بواخر انكليزية في طريقهم إلى البيع ، الأمر الذي جعل عدد السكان يزداد على سواحل هذه المستعمرة .

وكان النزاع يحدث دائماً بين مزيج سكان (فريتاون) الغرباء وبين رجال القبائل من أهل البلاد ، لذا عرفت تلك المنطقة باسم « قبر الرجل الأبيض » لما يحدث من قتل بين الفريقين ويذهب ضحيته الكثير من المستعمرين ، إضافة إلى أمراض الملاريا والأوبئة الاستوائية التي

تسبب موت العديد من الأروبيين ، ثم خفت الأحداث فيما بعد بسبب انتشار العلم ، كما قلّت الأمراض لارتفاع المستوى الصحي .

وضمت انكلترا إلى المستعمرة أراضٍ جديدة مجاورة لها عن طريق الشراء من زعماء القبائل بالإغراء تارة وبالتهديد تارة أخرى ، فالقبائل متفككة متفرقة ، ولا تملك من الأسلحة إلاَّ الأسلحة البيضاء ، والقسي ، على حين يملك المستعمر الأسلحة الآلية ، كما يستخدم الخداع والمكر والتخطيط ، ولا يحفظ عهداً ، وإنما تسيرّه مصالحه ، ويوجهه توسعه . وكثيراً ما كان الزعماء من الإفريقيين لا يعرفون من نصوص المعاهدة شيئاً بل يوقعون عليها على أنها صكوك صداقة وتعاون مع الدول الأوربية ، وفي المعاهدة من النصوص الغامضة والعبارات المرنة التي يمكن تفسيرها وتأويلها حسب الرأي الاستعماري ، وبالشكل الذي يريده ، وهو فرض السيطرة على الأراضي التي جرى عليها الاتفاق أو نصت عليها المعاهدة .

وفي عام ١٢٩٠ بدأ الانكليز بالتوسع نحو الشمال الشرقي ، واستطاعوا ضم منطقة (فالابا) الإسلامية إلى مناطق نفوذهم ؛ بينما خضعت المناطق المجاورة لها للنفوذ الفرنسي .

كانت فرنسا تتوسع في الداخل فيما يسمى اليوم بـ (غينيا) ، وقد استطاعت حصر مناطق النفوذ الانكليزي ، وهو ما يعرف اليوم باسم (سيراليون) من الشرق ، لذا أسرعت انكلترا ففرضت حمايتها على الجزء الذي وقع زعماؤه معها معاهدات عليه ، وعلى الأجزاء التي كانت قد نهبته بالغارات المتكررة ، وأطلق على مجموع الأراضي اسم (سيراليون) وهي تتألف من :

١ ـ المستعمرة : وتضم شبه جزيرة صغيرة لا تزيد مساحتها كلها على ٢٥٦ ميلاً مربعاً ، (٦٦٤ كلم^2) .

٢ ـ المحمية : وتشمل باقي دولة سيراليون اليوم ، وتبلغ مساحتها ٢٧،٩٢٥ ميلاً مربعاً ، (٧٢،٠٠٠ كلم ^{2}) .

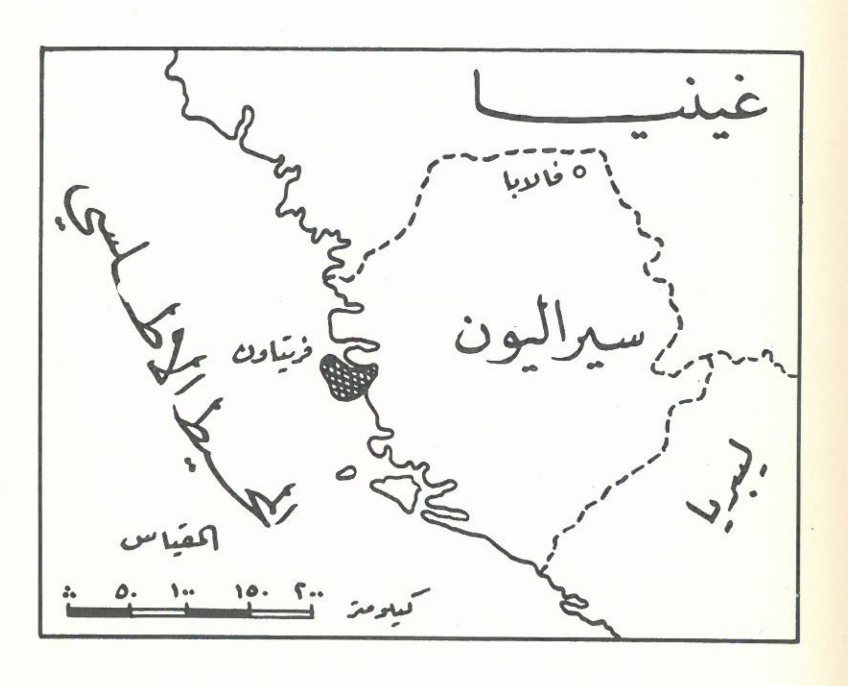
وفي عام ١٣١٣ هـ وقعت معاهدة بين انكلترا وفرنسا لتقسيم مناطق النفوذ بين الدولتين الاستعماريتين ، وفرضت انكلترا حمايتها عام ١٣١٤ هـ على المناطق التي سميت باسم سيراليون .

ولما كانت مالية انكلترا في عهد (غلادستون) مثقلة ، ولا يمكن للدولة أن تتحمل أية زيادة في النفقات ، وبالتالي لا تستطيع أن تحدث جهازاً إدارياً جديداً، يتولى إدارة شؤون سيراليون، وتدفع له النفقات الكبيرة ، لذا فقد رأت أن يستمر حكام المناطق في تسيير شؤون مناطقهم تحت إشراف مندوبين انكليز ، وارتبط هذا النظام في حكم غربي افريقية ، وهكذا كان الانكليز فقط هم الذين يتولون المناصب الكبيرة في محمية سيراليون ، وأبعد السكان الأصليون عن كل مركز حساس .

قسمت البلاد إلى ١٤٤ زعامة ، يشرف على كل منها زعيم من أبناء البلاد، ويساعده في الادارة مجلس محلي، يتألف من عدد من الطاعنين في السن من أهل المنطقة ، وذلك في سبيل إضعاف شؤون البلاد ، وعدم إيجاد وحدة بين أبنائها على طريقة المستعمرين في سياسة تفرقة المجتمع إلى أقسام متعددة .

ثم عمّ ذلك النظام على المستعمرة ، حيث تقدم الطب فذهب

الخوف من المجيء إلى سيراليون بسبب الأمراض فأقبل الشباب الأوربي للعمل هناك ، وتقلص عدد الموظفين المحليين حتى الذين تولت الادارة الانكليزية تعليمهم لهذه الغاية . وأصبحت الادارة السيراليونية في بداية القرن الرابع عشر بيد الانكليز .



السُّكّان

يزيد عدد سكان سيراليون اليوم على ثلاثة ملايين نسمة ، وبذا تكون الكثافة أكثر من ٤٠ شخص في الكيلومتر المربع الواحد ، وهي شبيهة بالكثافة في سورية ، وتعدّ قليلة إذا قارناها مع إمكانات البلاد الكبيرة من حيث الانتاج الزراعي والثروة المعدنية ، وتعود قلة السكان إلى كثرة الوفيات بسبب انتشار الأوبئة والأمراض ، وإلى انخفاض في المستوى الصحي ، وبخاصة لدى المسلمين الذين تحرص الدولة على عدم الاهتمام بهم كي يندفعوا نحو المبشرين النصارى الذين بيدهم المشافي ، يدعون الى عقيدتهم من خلالها ، ويرفضون مداواة من لا يدين بدينهم ، أو لا يحمل على الأقل إسماً يتصل بصلةٍ مع عقيدتهم ، كما يعود أيضاً إلى الجهل إذ تملك الإرساليات التبشيرية المدارس الحديثة والإمكانات الضخمة ، ولا تقبل الطلاب في عداد منتسبيها إلا الذين يقبلون عقيدتها ديناً لهم أو ممن تتوقع التأثير عليهم ، وكسبهم إلى صفوفها ، أما المسلمون فلا يتلقون الدعم ، وما يقومون به من جهد محلي فقليل وقليل أمام الإمكانات الضخمة التي تقدمها الإرساليات التبشيرية ومجلس الكنائس العالمي ، ويمكن أن نضيف إلى جانب المسلمين الوثنيين البدائيين من حيث الجهل والفقر وإن كانوا يفوقونهم بكثير .

ويتألف السكان من عدة قبائل يزيد عددها على الثلاثين قبيلة وأهمها :

١ ـ التمني: وينتشر أفراد هذه القبيلة في الشمال ، ويؤلفون ما يقرب من ربع السكان عامة ، وقد كانوا يشكلون السكان الرئيسيين

لشبه الجزيرة التي كانت نواة الاستعمار الانكليزي في المنطقة ، أو المستعمرة الأولى ، عندما تأسست مدينة (فريتاون) .

٢ ـ الماندي : وتنتشر هذه الجماعة في الأقسام الجنوبية من البلاد ، ويصل عدد أبنائها إلى ثلث سكان البلاد ، ونتيجة لهذا العدد فإن الخلاف الرئيسي بين القبائل يقع بين هاتين الجماعتين المتقاربتين في العدد . والماندي إضافة إلى المجموعة المذكورة لغة لمجموعة من القبائل تتكلمها ، ومن هذه القبائل الماندينغ ، وتوجد مجموعة منهم في الجنوب أيضاً .

٣ ـ الفولاني : وقد انحدروا من بلاد المغرب على ساحل المحيط الأطلسي ، ووصلوا حتى سيراليون واستقر بعضهم هناك ، ومضى بعضهم الآخر قدماً ، وتسرَّب إلى بلاد الزنوج تسرباً سلميًّا ، وأسسوا حكومات لهم هناك ، وهذا الاسم هو ما اختاره الشعب لنفسه ، أما جيرانه فقد أطلقوا عليه أسماء كثيرة ، حتى ظنها بعضهم جماعات تختلف كل عن الأخرى ، ويطلق عليه في هذه البلاد اسم الفولا .

٤ ـ الكريول : وهم مولدون في جزر الهند الغربية ، أعيدوا إلى هذه المنطقة بعد إلغاء تجارة الرقيق ، ويشكلون اليوم ربع سكان مدينة (فريتاون) ، وقد أعيدوا بدافعٍ من المبشرين النصارى والحكومة الانكليزية ، فالمبشرون يريدون أن يدخلوهم في النصرانية ، وأن يكونوا قاعدةً لهم للانطلاق بالتبشير في المنطقة ، والحكومة تريد أن يكونوا قاعدة لها أيضاً ، لمحاربة تجارة الرقيق وللسيطرة على المنطقة بعد أن يأخذوا عقيدتها ، وقد اشترت لهم الحكومة الانكليزية أرض

شبه الجزيرة الواقعة جنوبي (فريتاون) من ملك (التمني) آنذاك ، وهو الملك (توم) ، وقد تعهَّدتهم الكنيسة والحكومة معاً ، فأخذوا العقيدة النصرانية ، وتثقفوا الثقافة الغربية ، وتعلموا ، وهذا ما جعل لهم امتيازات واسعة في المستقبل .

السوسو : ويسكنون في شمال السهل الساحلي ، ويعملون في زراعة النخيل الزيتي ، أو في الاقطاعيات الأجنبية . وإضافة إلى هذه المجموعات يوجد « الجالينا » و « ليمبا » و « الفاي » و « الكرو » و « الكونو » و « الكورنكو » و « اللوكو » ، و « الشبرو » و « الكيسي » .

كما يوجد في البلاد جالية عربية وبخاصة من اللبنانيين الذين يزيد عددهم على الثلاثين ألفاً .

اللغـــة

إن لكل قبيلة في سيراليون لغتها الخاصة التي يتخاطب فيها أبناؤها فيما بينهم ، أما اللغة الرسمية فهي الانكليزية ، ولكن المثقفين إسلامياً تجمع بينهم اللغة العربية التي تتقدم مع انتشار وتوسع الثقافة الإسلامية .

وهناك لغة (الكريول) التي يتفاهم بها الناس جميعاً في سيراليون ، وهي لغة انكليزية محرفة ومتطورة إذ دخلتها كلمات من لغات عديدة من هولندية وبرتغالية وفرنسية ودانماركية وعربية ولغات القبائل في سيراليون كلها إضافة إلى بعض لغات القبائل في بقية إفريقية ، إذ أن الأرقاء المحررين عندما أقاموا في هذه المنطقة كانوا يتكلمون الانكليزية ، واختلطوا هنا بالمحررين الآخرين القادمين من دول أجنبية أخرى . ويتكلمون لغاتها ، كما اختلطوا برجال القبائل ، فأصبحت لغتهم مزيجة من عدة لغات هي لغة (الكريول) الحالية .

ويتمسك (الكريول) بلغتهم ويرفضون التكلم إلا فيها وخاصة أمام الغرباء ، ولما كان سكان الداخل لا يجيدون هذه اللغة ، لذا نشأ اختلاف في اللغة بين الفريقين إضافة إلى الاختلاف في التعليم ، ويشعر (الكريول) أنهم أعلى مستوى من غيرهم ما داموا أكثر ثقافة الأمر الذي يجعلهم يحرصون على لغتهم ويتمسكون بها .

العقيدة

إن نسبة أصحاب العقائد في سيراليون غير صحيحة ، وذلك

بسبب الاحصاءات والتقديرات الخاطئة التي يعطيها المستعمرون من قبل والحكومات التي أوكل إليها المستعمر تسيير شؤون البلاد بعد خروجه منها ، وتعطى هذه الحكومات النسب حسب المصالح المتعلقة بها ، إذ تزيد في نسبة النصارى حتى يبقوا حكام البلاد ، ويستفيدوا كذلك من رفع هذه النسبة من أجل فتح المدارس وأخذ المساعدات من مجلس الكنائس العالمي والإرساليات التبشيرية .

يدّعي الحكام وهم من النصارى أن نسبة المسلمين هي ١١٪ ، وترى الإرساليات التبشيرية أن هذه النسبة هي أكثر من الواقع أي لا ترضى فيها. أما المسلمون فيقولون إن نسبتهم تزيد على ٨٠٪ ، وفرق كبير بين هذين الرقمين نتيجة مصالح الحكام من الأقلية الذين يسيطرون على مقدرات البلاد .

تبلغ نسبة المسلمين في سيراليون ٧٥٪ ، وقد صرح بهذه النسبة وزير الشؤون الاجتماعية السيراليوني في احتفالات إسلامية أقيمت في مدن « فريتاون » و« بو » و« كينيما » و« ماكيني » وذلك عام ١٣٩٢ هـ ، ولو كانت النسبة التي يعطيها الحكام والمبشرون صحيحة لما أعطي المسلمون خمس حقائب وزارية ، وهذا ما يعادل ربع الوزارة ، والدولة لا تعمل لصالحهم إن لم نقل أنها تحاربهم .

ينتشر الإسلام بين القبائل كلها دون استثناء ، وإن كانت هذه النسبة تختلف بين قبيلة وأخرى ، فتزيد هذه النسبة في قبيلة « الماندي » ، وتقل بين « الكريول » ، أما بالنسبة إلى المناطق فإن الجهات الشمالية الشرقية تعد أكثر من غيرها نسبة بالمسلمين .

أما النصارى فإن نسبتهم قليلة ولا تصل إلى ١٠٪ أبداً ، وأكثر

أبنائها من « الكريول » ، وهم الذين تمتعوا بحقوق خاصة ، نتيجة عقيدتهم التي يلتقون فيها مع المستعمرين ، كما أن هناك نسبة صغيرة جداً بين رجال القبائل ، وهم الذين تلقوا العلوم في المدارس التبشيرية النصرانية .

إذ دخلت الإرساليات التبشيرية النصرانية بدخول البرتغاليين في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، ولكن نشاطها قد ازداد على نطاق واسع مع دخول الانكليز إذ شجعوا الارساليات على اختلاف مذاهبها ، إلا أن الروم الكاثوليك بقي هو المذهب الغالب على المؤسسات كافة ، وهو مذهب الفاتيكان والبرتغاليين وجنوبي أوربا عامة ، ويلي ذلك المذهب البروتستانتي ، ثم الأرثوذكس .

لقد وجدت هذه الإرساليات ميادين العمل أمامها واسعة إذ تحظى بتأييد الاستعمار ، وتتلقى المساعدات الضخمة ، والسكان بدائيون بسطاء ، والمسلمون قلة ضعفاء ، منعزلين فقراء ، جهلة يؤثر عليهم الوسط الذي يعيشون فيه ، ليس لديهم دعم ، ولا يملكون سلطة ، وإخوانهم على حالة من البؤس لا يستطيعون الاتصال بهم ، بل لا يعرفون عنهم شيئاً ، وحتى يكادون لا يعرفون أنفسهم .

أقامت الإرساليات المدارس والمشافي ، وأنشأت الكنائس ، ودعت الناس للتعليم والتداوي على أن يعتقدوا بما تعتقد ، فأقبل الناس وإن كانوا على قلة ومن البدائيين الوثنيين ، وأحجم المسلمون خوفاً على عقائدهم لما في المناهج من عقائد خاصة .. وحتى الآن لا تكاد تخلو بلدة صغيرة من وجود مكتب للتبشير النصراني ، ولا يكاد يخلو شارع من وجود كنيسة أقيمت إلى جانبها مدرسة تابعة لها . وقد لا

يوجد فى هذا الحي أو تلك البلدة إلا أعداد من النصارى لا تتجاوز عدد أصابع اليد ومع ذلك أقيم لهم مكتب للدعوة وكنيسة ومدرسة ومستشفى و . . . ومن يتجول في أنحاء سيراليون ويشاهد كثرة الكنائس ومكاتب الإرساليات والمدارس التبشيرية يتصور أن أكثر سكان سيراليون من النصارى بل لا يكاد يوجد فيها غيرهم لولا أن يشاهد بعض المساجد والمنارات . . . ومن يرى السكان وبخاصة في شهر رمضان وإقبالهم على صلاة التراويح يتصور أن البلاد كلها مسلمة وما الكنائس منها إلا رمزاً لأيام الاستعمار الذي شادها .

وأشهر الإرساليات التبشيرية : الأمريكية فالكاثوليكية الايطالية فالبريطانية العالمية فالليبيرية ، وجامعة (فوره بي) إحدى هذه المؤسسات ، وأقيمت منذ أيام البرتغاليين ، وبقي يديرها القساوسة منذ تأسيسها حتى عام ١٣٧١ هـ حيث تسلمتها وزارة المعارف السيراليونية ، وسمح عندها للطلاب المسلمين بالانتساب إليها ، وكانوا يمنعون قبل ذلك .

أما بقية رجال القبائل وأكثرهم من الذين يعيشون منعزلين في الغابة وغيرها ، ولا تزال نسبتهم كبيرة نسبيا في تلك الجهات إذ تصل إلى ١٥٪ ، وسبب ذلك يعود إلى عدم إمكانية تحرك المسلمين في الدعوة بسبب عدم دعمهم من إخوانهم في بقية الجهات من العالم الإسلامي وخاصة البلاد التي تملك إمكانات كبيرة من المال ، ثم وقوف الإرساليات التبشيرية والحكومة في وجه المسلمين حتى لا يؤثروا على البدائيين ويجذبونهم نحو الإسلام ، وهم يريدون كسبهم .

وإن كثافة الأدغال واتساع الغابات المجهولة في سيراليون سببًا

لرجل الغابة بصورة عامة الإيمان بقوة شيطانية خفية كامنة وراء الأشجار الأمر الذي جعله يتصور أن لهذه الغابة ملكاً لا يخرج إلا في الليل اسمه (ديفل) أي شيطان ، والخير لهم كل الخير أن يتحالفوا معه اتقاء لشرّه وخوفاً من ضرره ، ولكن لا يمكن لأي إنسان أن يتحالف معه أو يتصل معه ، إلا عن طريق رجال يدعون أنهم يتصلون به بل ويستطيعون أكثر من ذلك ، حيث يسخرونه في خدمتهم وتأمين معرفتهم لبعض الأمور الغيبية والمخفية عن الناس ، ومن ادعى هذه القدرة دانت له الرجال ، وخضعت له الجماعة كلها ، وأقرت له بالطاعة . و أذا خرج إلى الغابة مع جماعته كان بلباس غريب وقناع عجيب يتميز بهما عن باقي أفراد القبيلة . ويحوي مقره أصناماً تعتقد جماعته كلها بنفعها وضرها ، وبإمكانية إلحاق الأذى بمن يخالفها أو يستهزىء بها على الرغم من أنها جوامد لا حياة فيها ولا حركة ، وتصنع على معرفة من بعض الأفراد، إن لم نقل إن أكثرهم يرى ويعرف طريقة صنعها وعملية إخراجها ، إذ تصنع أحياناً من الخشب ، وتسمى عند ذلك (جوجو) ، وقد تكون قرن ثور ، وتعرف باسم (كارافيلو) ، وربما كانت عدداً من الودع يوضع في زجاجة مع قطع من الحديد وحبات من الرز ، ويدفع صديق (الديفل) بعض هذه الأوثان إلى بعض المقربين له أو الذين قدموا إليه خدمات ليضعوها في حقولهم من أجل البركة أو اتقاء الشر ، وإذا كانت هذه الخرافات قد بدأت تتقلص من النفوس ، ويدين أصحابها بعقائد ثانية سواء أكانت الإسلام أم النصرانية إلا أن رواسبها باقية ، وربما يصعب التخلص منها قبل مرور مدة من الزمن غير قصيرة .

ويتجمع السكان في مراكز بشرية أهمها:

١ ـ فريتاون : وتعني المدينة الحرة ، وهي العاصمة ، ويقدر عدد سكانها بحوالي مائة ألف نسمة ، وقد تأسست مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، وأصل سكانها من الأرقاء المحررين ، وإن كان أحفادهم اليوم من « الكريول » لا يزيدون على ربع السكان الحاليين ، إذ وفد على المدينة أعداد من أنحاء البلاد كافة بصفتها مركز الحكم . وفيها أقدم معهد للتعليم العالي في غربي إفريقية كلها ، وهو كلية (فوره بي) ، التي هي في ضاحية من ضواحي (فريتاون) . ويوجد المطار في (لونجي) على الشاطىء الآخر للخليج ، وتعد « فريتاون » من الموانىء الجميلة في العالم .

٢ ـ بو : ويبلغ عدد سكانها أربعين ألف نسمه ، وهي في الجنوب ، وقاعدة المقاطعة الجنوبية ومحطة للقطار .

٣ ـ ماكيني : وتقع في المقاطعة الشمالية ، وأكبر المدن فيها ، إذ يقدر عدد سكانها بخمسة عشر ألف نسمة .

٤ ـ كينيما : وهي قاعدة المقاطعة الشرقية ، وأكبر مدنها ، ويزيد عدد سكانها على عشرة آلاف نسمة ، ويمر منها الخط الحديدي .

وهناك (ماكبوراكا) في وسط البلاد في نهاية المنطقة السهلية ، و(بورت لوكو) وغيرها .

التقسيمات الإداريّة

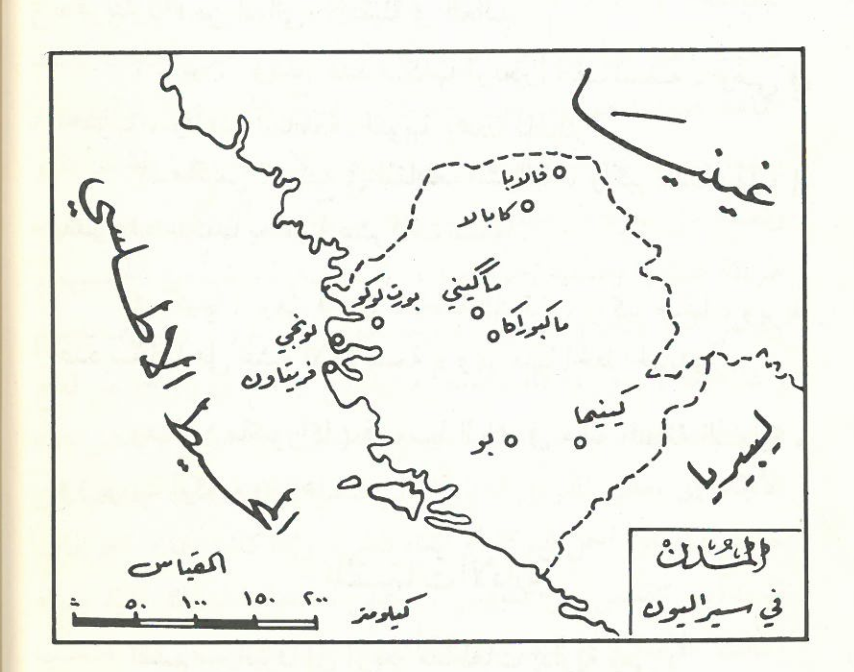
تقسم سيراليون إلى أربع مقاطعات إدارية وهي :

١ ـ فريتاون : وتضم العاصمة وشبه الجزيرة التي كانت المستعمرة الأولى ، وهي بهذا تكون أصغر المقاطعات

٢ ـ المقاطعة الشمالية : وهي أوسع المقاطعات ، وأكثر سكانها من قبيلة (التمني) .

٣ ـ المقاطعة الجنوبية : وقاعدتها مدينة (بو) ، وأكثر سكانها ينتمون إلى قبيلة (الماندي) .

٤ ـ المقاطعة الشرقية : وأكثر أراضيها مرتفعة عدا منطقة (كينيما) .



انتشار الإسلام

كان انتشار الإسلام في أوسع مدى له في غربي إفريقية أيام المرابطين (٤٥٠ ـ ٥٢٥ هـ) إذ كانوا يرسلون الدعاة إلى كل الجهات ، ومع أن هؤلاء الدعاة قد نجح أغلبهم في مهمتهم إلا أن أثرهم كان قليلاً إذ لم يطل عهد المرابطين ، فقد انتهت دولتهم عام ٥٢٥ هـ على يد الموحدين الذين ضعف أثرهم في هذا المجال ، فالعمل الذي ليس له قوة تحميه وتدعمه يبقى ضعيفاً مهما كان سامياً ، هذا بالإضافة إلى أن سكان منطقة سيراليون آنذاك كانوا على درجة من البدائية بحيث يصعب معها الاتصال بهم والاحتكاك معهم ناهيك عن اللغة والأسلوب وإمكانية التلقي والفهم والاستيعاب ونزع رواسب الماضي ومخلفات الجاهلية التي رانت على قلوبهم قروناً طويلة .

وخضعت المنطقة في القرن السابع الهجري لحكم مملكة مالي الإسلامية ، ولم يتوسع انتشار الإسلام بالصورة التي يرضى عنها ، وربما يعود ذلك إلى أن مملكة مالي كانت عسكرية بالدرجة الأولى ، ولم تكن لتعمل على نشر أفكارها ومبادئها وعقيدتها ، وإنما اقتصرت على السيطرة على مناطق واسعة ، ومن ناحيةٍ ثانية فلم يكن الحكام خاصة والشعب عامة ليحمل الإسلام عقيدة ويعمل على تبليغها ، والسير على منهجها ، والجهاد في سبيلها ، وإنما كانوا ينتمون إلى الإسلام عاطفة ، ولأنه ينسجم مع طبيعتهم إذ أن الإسلام دين الفطرة البشرية ولهذا أقبلوا عليه ، وانتسبوا إليه ، وافتخروا به ، على

أنه أيضاً دين العلم ، وهم جهلة ، والجهل يسود المنطقة ، ودين القوة ، وهم ضعفاء ، والتجزئة تعمّ إفريقية كلها ، ودين المدنيَّة ، وهم متأخرون ، والبدائية تلفّ بقاعهم ، فانتماؤهم إليه يعني انتسابهم إلى العلم والقوة والحضارة والمدنية ، ولما كانت الدولة لا تعمل على نشر مبادئها لذا لم يستمر حكمها على تلك المناطق طويلاً إذ لم تلبث أن انفصلت عنها ، فلو نشرت مملكة مالي الإسلام بين سكان تلك المنطقة لما فضّلوا الانفصال عنها لأن الرابطة بين المجتمعات إنما هي العقيدة فقط ، ولهذا رأينا المستعمرين عندما سيطروا على إفريقية حرصوا على نشرعقائدهم ليبقى السكان الذين قبلوا تلك العقيدة على ارتباط دائم معهم ، وهذا ما كان ، وعندما خرج المستعمرون سلَّموا الحكم لأبناء

عقيدتهم من الإفريقيين على الرغم من قلتهم ، واستمروا على صلةٍ معهم وارتباط بهم ، ويسيِّرون البلاد بالشكل الذي يرضى عنه حلفاؤهم من الأوربيين الذين تجمعهم العقيدة الواحدة . وعلى كل فقد انتشر الإسلام في هذه المرة أيضاً في سيراليون ولكن على نطاق ضيق أيضاً .

ويجب ألا ننسى أثر التجار من المسلمين الصالحين الذين كانوا يصلون إلى سواحل سيراليون وداخلها من موريتانيا ، والسنغال ، وغينيا ، ونيجيرية ، ويتصلون بالسكان ، وكانت معاملتهم وحدها دليلاً على سمو العقيدة التي يؤمنون بها ، وكافية لأن يعتنقها أكثر الذين يتصلون بأصحابها ، لما كانوا عليه من صلاح وتقوى وأخلاق حسنة حتى غدت كلمة مسلم تدل على أن صاحبها منزه عن فعل السوء - كما يجب أن يكون - ومن يريد من السكان أن يدفع عن نفسه تهمةً توجَّه إليه يقول : (أنا مسلم) فتُرفع عنه التهمة مباشرة إذ يعترف الجميع أن المسلم لا يمكن أن يفعل شرًّا ، ولا يمكن أن ينزل بنفسه إلى هذا المستوى .

وفي القرن الثاني عشر الهجري حدثت معارك بين بعض المسلمين في غينيا وجلُّهم من قبيلتي (الفولاني) و(الماندينغ) ، ومعهم أتباعهم ، وكانوا بأمرة (المعلم صوري) وبين جماعة من الوثنيين في سيراليون بسبب تخريب المسلمين الغينيين طبل الوثنيين السيراليونيين ، وعدّ المسلمون هذا القتال جهاداً مقدساً ، فانتصروا انتصاراً بيِّناً ، فطاردوا الوثنيين ، واحتلوا مدن (كارينا) و(فالابا) و(كابالا) و(بورت لوكو) ، واستوطن كثير من المسلمين في هذه

المنطقة التي احتلوها ، وبدؤوا يتصلون بالسكان المجاورين من أهل القبائل والمدن ، ويتجرون معهم ، وأثناء عملهم وصلاتهم كانوا يؤدون فرائضهم الدينية ، ويصدُقون في معاملاتهم الأمر الذي دفع الوثنيين نحو هذا الدين ، وأصبحوا يعتقدون مع الأيام أن الإسلام دين الرجل الأسود وذلك لأن الداعين له كانوا يأتون من غينيا والسنغال إنما هم من السود ـ وهم لا يعلمون طبيعة الإسلام ـ ، كما وجدوا أن هذا الدين القادم إليهم من الشمال يتناسب وطبائعهم وفطرتهم بل وفطرة البشر جميعاً الأمر الذي جعلهم يقلدون المسلمين في العبادات فما وجدوا أنفسهم إلا وهم أقرب إلى الإسلام ، وزادهم إسراعاً في الدخول بالإسلام أن المسلمين والوثنيين وقفوا جنباً إلى جنب ضد الغزاة البرتغاليين ، فتوثقت الروابط بين الفريقين ، ودخلت أعداد من الوثنيين في الإسلام ، وكذلك وفدت جماعات كثيرة من المسلمين الغينيين من قبيلة (السوسو) إلى سيراليون ، واستوطنت هناك ، وبدأ يقبل عدد من زعماء قبائل (التمني) و (اللمبا) إلى الإسلام .

وفي القرن الثالث عشر الهجري خضعت منطقة سيراليون لحكم مملكة (فوتا جالون) الإسلامية التي أسسها (التوكلور) وقادها الحاج عمر ، ولكن كانت حكومة عسكرية أيضاً ، إذ قام يصارع الاستعمار بشكل عام والفرنسيين بشكل خاص فلم يكن لديه اتساع من الوقت ليقوم بالدعوة ونشر الإسلام ، وإنما كانت مدة حكمه كلها جهاد وانتقال من مكان إلى آخر ، وعندما توفي عام ١٢٨١ هـ تنافس أبناؤه من بعده على السلطة ، ودخلوا في حروب فيما بينهم ، فأساءوا إلى أنفسهم وإلى السكان ، فكرههم الناس ، ولا يمكن أن تنتشر فكرة امرىءٍ مكروهٍ مهما كانت جليلةً وسامية .

كما بسط (ساموري توري) نفوذه على جميع قبائل (الماندينغ) ، ولكن لم يطل عهده أيضاً ، إذ قضى الفرنسيون على حكومته عام ١٣١٦ هـ ، ونفوه إلى الغابون ، حيث توفي عام ١٣١٨ هـ . ومع هذا فإن نسبة المسلمين لم تزد على ٢٥٪ في سيراليون في مطلع القرن الحالي (الرابع عشر الهجري) ، وبدأت بعد ذلك ترتفع باستمرار حتى غدت ٤٠٪ ولم ينتصف القرن بعد ، وتفوق الآن ٧٥٪ من سكان البلاد .

إذ بدأت القبائل تتسابق للدخول في الإسلام وبناء المساجد ، إذ تبني كل قبيلة مساجدها لنفسها ، ومسجدها الخاص في المدينة العاصمة ، وعلى الرغم من وجود الخطأ في هذا العمل حيث فيه تفرقة المسلمين والدعوة للعصبية وهذا ما يحاربه الإسلام إلا أنه كان إسراعاً في انتشار الإسلام والإقبال عليه ، وتطبيق تعاليم الإسلام بشكل سليم أفضل من انتشاره بصورة غير صحيحة .

بدأ المسلمون يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب التي افتتحت في أكثر المدن والقرى السيراليونية لتعليم الأحداث قصار السور على طريقة الألواح المشهورة التي تكاد تكون الطريقة الوحيدة للتعليم الإسلامي في جميع أنحاء إفريقية ، حيث يتحلق الطلاب في أوقات معينة من النهار وفي الليل حول شعلة من نار توقد في باحة دار المعلم لحفظ ما كتبه على ألواحهم وذلك لقاء عمل يقوم به الطلاب في حقل المعلم ، وفي قشر الأرز ، والاحتطاب ، وجلب الماء . ويبقى الطالب كذلك إلى أن يتم مرحلة تلاوة القرآن بالنظر وحفظ بعض قصار السور ، ويمنح بعدها لقب ـ ألفا ـ ، فإن أراد التفرغ للعلم يبدأ

مرحلة تعليمية ثانية ، وهي مرحلة تفسير معاني القرآن وترجمتها إلى لغته مع دراسة بعض الكتب الفقهية المالكية ، وعند إتمام هذه المرحلة الدراسية التي تستغرق أحياناً عشر سنوات يمنح بعدها لقب ـ فودي ـ باحتفال كبير يحضره أعيان القبيلة وعلماؤها حيث تلفّ على رأسه عمامة ـ فودي ـ ثم يرفع كرسيه على الأعناق ، وهو جالس عليه ليطاف به في البلدة ، ويؤهل من منح لقب ـ فودي ـ لأن يكون إماماً في جماعة [١] .
وعلى الرغم مما في هذه الطريقة من بساطةٍ لفقر المسلمين وعدم مساعدة الدولة لهم بل ومحاربتهم فقد استطاعت أن تلعب دوراً هاماً في نشر الثقافة الإسلامية ، تلك الجهات إذ دخلت إلى مجاهل الغابات وأدخلت سوراً من القرآن الكريم وبعض الأحكام الفقهية والمفاهيم الإسلامية على حين لم تستطع ذلك الثقافة النصرانية ثقافة المستعمر مع أنها تملك امكانات مادية ومغريات كبيرة .

ومع ما في هذه الطريقة من صعوبة وبدائية إلا أن المسلمين قد تمسكوا بها خوفاً على عقيدتهم من المستعمرين والمبشرين الذين يملكون وسائل التعليم الحديثة إلا أنها موجهة ضد عقائد المسلمين ومبادئهم .

أما المساجد فتعود كثرتها إلى أهميتها في الحياة الاجتماعية الإسلامية في سيراليون ، فالمسجد هو المكان الأول الذي يهتم بقضايا المسلمين ، لذا فقد بنت كل جماعة إسلامية مسجدها الخاص وعينت له إمامه ليكون كلامه الفصل في المشكلات التي يتعرض لها المجتمع ، ففي المسجد يعقد النكاح ، ويكون الطلاق ، ويفصل في

(١) مجلة الجامعة الاسلامية شوال ١٣٩٦ هـ مقال المسلمون في سيراليون للشيخ أحمد بن صالح محايري.

الخصومات ، ويجهز الميت ، ويعلن عن الدعوات ، وتوزيع الزكاة ، وكل جماعة مسؤولة عن تغطية نفقات مسجدها ، وتأتي الواردات إليه من الاشتراكات الشهرية التي يدفعها الأعضاء ، والتبرعات ، والرسوم على الزواج والطلاق وتجهيز الموتى وتشمل مصروفات المسجد البناء والترميم والإنارة وجلب المياه وراتب الإمام ، وغالباً ما يكون راتب الإمام قليلاً لهذا يزاول أعمالاً أخرى وربما يكون منها كتابة الحجب والتمائم التي تنتشر عادة بين الشعوب المتأخرة وبخاصة البدائية منها ، والذين دانوا بالإسلام ولم يتحرروا في تلك الجهات من تلك العادات تماماً وإنما استمرت بصور شتى ، وتنتشر أيضاً بالخرافات ، وقد يكون الإمام ممن يقبل ذلك بل وينشره . ولا نستطيع أن نعدد المساجد في كل أنحاء البلاد إذ لا تخلو بقعة منها ، ولكن سنتكلم عن بعض الجوامع ، في (فريتاون) العاصمة ، ويزيد عددها على خمسة وعشرين جامعاً ولم يكن فيها قبل مائة عام سوى جامع واحد وأشهر هذه الجوامع :

١ ـ الجامع العتيق : وهو يخص جماعة (اليوروبا) التي قدمت من نيجيريا ، وتعرف باسم (فوره بي) ، وقد أقامت هذه الجماعة مسجداً ثانياً لها .

٢ ـ جامع فولاتاون : وهو باسم الجماعة التي يخصها ، وهي فرع من قبيلة (الأوكو) ، وكان كنيسة ، فاشترتها هذه الجماعة عام ١٢٩٣ هـ ، وحوّلتها إلى جامع .

٣ ـ الجامع الجليل : وقد بنته قبيلة (التمني) عام ١٣٥٠ هـ ، ويعد أكبر الجوامع في العاصمة ، ومركزاً لالتقاء الدعاة ، ويُستقبل فيه

الزوار والوفود الرسمية ، وإمامه الشيخ (جبريل سيسي) .

٤ ـ جامع التوحيد : ويخص أيضاً قبيلة (التمني) .

٥ ـ جامع كوتورود : وهو للقبيلة السابقة أيضاً ، وتوجد بجانبه مدرسة إسلامية تسمى (مدرسة مقامات الإسلام) .

٦ ـ جامع أوب كون : وهو لقبيلة التمني أيضاً ، أي أصبح لأفراد هذه القبيلة الكبيرة أربع جوامع في العاصمة .

٧ ـ جامع القدوس : وهو لقبيلة الماندينغ ، وقد بناه تجار القبيلة القادمون من غينيا عام ١٣٧٣ هـ . وله أربع منارات .

٨ ـ جامع الفولا : وقد شيدته قبيلة الفولاني عام ١٣٧٥ هـ ، ويقع بالقرب من جامع القدوس ، ويعد من المساجد الضخمة وله أربع مآذن ، وتقوم هذه القبيلة ببناء مسجد آخر لها في مدينة (فريتاون) إذ لم يعد يتسع هذا المسجد على رحبه وسعته .

٩ ـ جامع الأمين : وقد بدأت قبيلة (اللمبا) ببنائه عام ١٣٧٠ ، وانتهت من البناء عام ١٣٨٥ هـ ، وهو مسجد واسع ، وعلى الرغم من اتساعه فقد شيدت هذه القبيلة مسجدين آخرين بسيطين، إذ كان لبناء مسجد الأمين فضل في انتشار الإسلام بين أفراد هذه القبيلة(اللمبا) وهي ثالث قبائل سيراليون عدداً بعد (الماندي) و (التمني) إذ عندما ساهم أمراؤها في بناء المسجد والعمل له وتنظيم شؤونه لم يجدوا أنفسهم إلا وهم مسلمون فأعلنوا إسلامهم ، وشيَّدوا أربع مدارس ابتدائية لهم في العاصمة فقط .

١٠ ـ جامع السوسو : وقد بني عام ١٣٦٦ هـ لأبناء قبيلة (السوسو) ، إلا أنه لم يعد يتسع لأفراد هذه القبيلة التي ازداد انتشار الإسلام بين أفرادها ، الأمر الذي دعاهم لإشادة مسجدين آخرين ، كما أسسوا ثلاث مدارس ابتدائية بجانب هذه المساجد .

١١ ـ جامع الهاوسا : ويقع وسط العاصمة ، وقد أقيم عام ١٣٧٥ هـ على نفقة أحد تجار القبيلة وهو (الحاج أحمد ترولي) .

١٢ ـ جامع الحاج كول : ويقع في منطقة السفراء ، وقد أسسه (الحاج كول) ، وقد كان (كول) قسيساً في كنيسة ، ثم اعتنق الإسلام ، وأدى فريضة الحج ، وبنى هذا المسجد .

وعلى كلٍ فإن هذه المساجد الكثيرة على ما فيها من تفرقة فإنها ساهمت مساهمة فعالة في انتشار الإسلام بين القبائل كلها .

كان المسلمون يُعدّون أقلية أيام الاستعمار ومع ذلك فإنه يعينٌ للمسجونين إماماً للصلاة ، ويعفى رجل الشرطة من التمارين الصباحية في شهر رمضان ، وليس سوى ذلك .

أما بعد الاستقلال فقد اعترف بالإسلام كدين رسمي على الرغم من أن المسلمين هم الأكثرية ولكن الأقلية هي التي تتحكم في شؤون البلاد ، وتعطي إحصائيات خاطئة ليبقى لها نفوذها وسيطرتها ومع هذا فإن عيد الفطر والعيد الأضحى والثاني عشر من ربيع الأول تعدّ عطلاً رسمية ، كما يسمح للمسلمين يوم الجمعة بمغادرة أعمالهم ودوائرهم لتأدية فريضة الجمعة ، وتنقل وقائع صلاة الجمعة من اذاعة (فريتاون) أسبوعياً ، ومن مساجدها الكبيرة بالتناوب ، كما أن مساء

ذلك اليوم يوجه برنامج تلفزيوني خاص . وتفتتح الاحتفالات الرسمية بالقرآن الكريم مقابل دعاء من قسيس نصراني ، وتفتتح وزارة المعارف مدارس إسلامية ، ويسمح بإقامة جمعيات إسلامية تمارس النشاط الإسلامي . وحتى الآن لا توجد محاكم شرعية في البلاد ، وإنما أئمة المساجد يمارسون هذا العمل، كما لا توجد مقابر خاصة بالمسلمين .

ونستطيع أن نضيف إلى أسباب انتشار الإسلام الطرق الصوفية كالتيجانية وغيرها إذ أن أفراد هذه الفرق بأساطيرهم وخرافاتهم يستطيعون أن يؤثروا على البدائيين ويجذبونهم نحو الانتماء إلى الإسلام ، وبذلك تزيد نسبة المسلمين ولكن هذه الأعمال لا يقبل عنها الإسلام ولا يعترف بها ، لذلك فإن أصحاب الطرق والذين كسبوهم على حدٍّ سواء هم بحاجةٍ إلى الدعوة بينهم من جديد حتى تتخلص أفكارهم من الشوائب العالقة منها ، ويقبلوا على الإسلام الصافي ، وبهذا يمكن أن نقول : إن الدعوة الإسلامية تمر في مرحلتين : المرحلة الأولى وتكون بالموافقة على الانتماء للإسلام ويبقى الرجل فيها مسلماً بالاسم ، صاحب عاطفة دينية ، وعمله يشوبه الكثير مما كان يحمل في الجاهلية الوثنية ، والمرحلة الثانية وتكون بالالتزام التزاماً صحيحاً وترك كل ما في الجاهلية من أفكار ومفاهيم وأعمال ، وقد تكون المرحلة الأولى على درجة من السوء بحيث لا نستطيع أن نميز بين المسلم وغيره من النصارى والوثنيين إلا أننا نستفيد من انتمائه للإسلام وعاطفته الدينية ، ونستطيع إدراجه في صفوف المسلمين وتلقينه الإسلام الصحيح ، ولا نجد في ذلك صعوبة لقبوله من الأساس الانتماء إلى الإسلام كما لا يجد هو صعوبة في ذلك

للسهل نفسه ، بينما تحويل امرىءٍ من عقيدةٍ إلى أخرى يجد المرء الداعية في ذلك مشقة لأن أصعب شيء على الإنسان تغيير ما اعتقد وتبديل ما نشأ عليه وتوارثه ، ومع ذلك فالإقبال على الإسلام من مختلف العقائد كبير ولله الحمد لأن الإسلام دين الفطرة يتفق وطبيعة البشر مهما كان نوعه ولونه ومهما كانت ثقافته وجنسيته ، ويمكننا أن نقول : إن المرحلة الثانية من الدعوة قد بدأت تنشط بشكل جيد بعد الاستقلال ، ونجد لها الآن تسع مدارس ابتدائية في العاصمة (فريتاون) ، وهي لقبائل (التمني) و (اللمبا) و (السوسو) ، وثانوية في مدينة (كينيما) تضم أربعمائة طالب ، وأخرى في مدينة (صفدو) وكلتاهما لقبيلة (الماندي) وتدعم بعض البلدان الإسلامية هذه الدعوة دعماً مشكوراً وإن كان قليلاً ، لا يتناسب مع زيادة انتشار الإسلام ، ولا مع ما تتلقى الإرساليات التبشيرية النصرانية من دعم وتأييد من دول الغرب ومجلس الكنائس العالمي والتبرعات الفردية الضخمة .

العمل على وحدة صف المسلمين : رأينا كيف أن المسلمين متفرقون كل قبيلةٍ تلتفّ حول إمامها في جامعها أو مساجدها وتبدأ الصوم حسبما يبدو الهلال لذلك الإمام ، وتصلي العيد وحدها ، وتقضي شؤونها بنفسها ، ولا تبحث بقضايا غيرها حتى ولو كانوا من جيرانها المسلمين ، وفي هذا بُعد عن الإسلام وبلاء في الأمور السياسية والاجتماعية ، وقد رغب الاستعمار البقاء على هذه التفرقة بل حاول زيادة أوارها ، وطمع في ذلك الحكومات التي خلفت المستعمر ، والتي أقامها قبل رحيله ، إلا أن هذا لن يستمر ما دام الوعي يزداد والفهم للدين يتسع ، وهذا ما حدا ببعض المسلمين إلى الدعوة إلى تشكيل مجلس إسلامي يمثل المسلمين ، ويهتم بقضاياهم ، ويجمع ما

بينهم في العيد ، ويمكن أن يتناوب أئمة القبائل دور الإمامة . ولقد تمَّ فعلاً هذا المجلس باسم (مجلس مسلمي سيراليون) وذلك عام ١٣٤٧ هـ وكان برئاسة المعلم سنوسي وأمانة سر السيد حاضر الدين ، وقام المجلس بجمع التبرعات ، وحاول أن يجمع بين المسلمين ، وأن يوحِّد صفوفهم ، وأن تكون قضاياهم واحدة ومتحدة في بدء الصوم ، والإمامة إلاَّ أن القاديانيين قد أفسدوا كل شيء ، وأنهوا عمل أربعين سنة من الجهد منذ عام ١٣٤٧ وإلى عام ١٣٨٧ هـ .

وقامت جمعية الأخوة الإسلامية عام ١٣٨١ هـ ، واستطاعت فتح سبعين مدرسة ابتدائية وثانويتين ومعهد لتخريج المعلمين ، وتدرس هذه المدارس منهاج وزارة المعارف في سيراليون بالاضافة إلى مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية ، وتعاني مدارس هذه الجمعية نقصاً في المعلمين الأمر الذي يجعلها بحاجة إلى الافادة من المعلمين النصارى في تسيير شؤونها والتعليم فيها ، كما تعاني من الهجوم المركَّز عليها من الارساليات التبشيرية النصرانية والحكم الذي يضغط على المسلمين .

وقامت كذلك الجمعية الايمانية بالعاصمة (فريتاون) عام ١٣٥٧ هـ ، وقد أسسها (جبريل سيسي) مع بعض وجهاء قبيلة (التمني) ، وأسست جامع الجليل الذي ذكرناه ، والمدرسة الايمانية ، وعملت على الإفادة من كل زائر إسلامي .

وهناك جمعيات أخرى موزعة في أنحاء البلاد كلها في المدن والقرى وبين رجالات القبائل أيضاً .

ومن يزور إحدى مدن سيراليون في شهر رمضان لا يداخله الشك أبداً في أن سكان المدينة كلهم من المسلمين والمتمسكين أيضاً ، إذ تضطر دوائر الشرطة أن تمنع السير كل يوم وقت صلاة التراويح ، إذ يملأ المصلون الشوارع والطرقات أثناء ذهابهم من وإلى المسجد ، وأثناء أداء الصلوات إذ تضيق بهم الجوامع فيفترشون الطرقات ، ومع هذا فهناك بعض الأعمال الوثنية التي لا تزال تُقام احتفالاً بعيد الفطر ، إذ تصنع الأحياء والقرى تماثيل مزركشة ، ولكل حيٍّ تمثاله الخاص ، ويُطاف به في الشوارع ، وينال الجائزة من قبل البلدية أجملها .

السِّيَاسَة الاسْتِعمَارِيَّة

سارت انكلترا في سيراليون بسياسةٍ استعمارية قد لا تختلف كثيراً عن السياسات التي سار عليها الأوربيون جميعاً أثناء سيطرتهم على أراضٍ خارج حدود قارتهم بصورة عامة وعلى أرض إسلامية بصورة خاصة ، لا يفترق في ذلك الانكليز والفرنسيون والبلجيك والهولنديون والاسبان والبرتغاليون والروس والألمان ، وأهم جوانب هذه السياسة .

١ ـ التبشير : حرص الاستعمار منذ أن وطئت قدمه أرض سيراليون على أن يعمل على بناء مراكز للتبشير بعقيدته ، لذا طلب من الكنائس أن تبعث بإرسالياتها إلى تلك المناطق للعمل على إدخال السكان المحليين بالديانة النصرانية ، وذلك من أجل أن يعتمد عليهم في تسيير شؤون البلاد ، وأن يكونوا دعامة له في السيطرة على تلك الجهات ، إذ لا تستطيع دولة مهما كانت أن تؤمن العدد الكافي من أبنائها لحكم تلك الأراضي الواسعة التي سيطرت عليها إذ يكفي أن نعرف أن كل دولة أوروبية كانت تبسط نفوذها على مناطق واسعة تزيد مساحتها على مساحة الدولة المسيطرة بعشرات المرات ، فأندونيسيا تزيد مساحتها ثمانين مرة على مساحة هولندا الدولة المستعمرة لها، وكذا بالنسبة إلى الكونغو (زائير) التي تحكمها بلجيكا ، والسودان التي تسيطر عليها انكلترا ، وإفريقية الاستوائية التي تستعمرها فرنسا و . . . ، ولم تكن أية دولة أوربية لتسيطر على منطقة واحدة وإنما على مناطق متعددة ، وكل منها تبلغ أضعاف مساحتها بالذات ، لذا فهي

بحاجةٍ إلى أعدادٍ كبيرةٍ من البشر تستخدمهم في الأعمال الزراعية واستغلال الأرض والتعدين والمؤسسات الحكومية وحفظ الأمن وما إلى ذلك من أعمال ، وترى أنها لا يمكنها أن تعتمد على أشخاص لا يعتقدون بعقيدتها ، فالعقيدة هي التي تربط بين الجماعات ، وتصل بعضهم مع بعض ، والدول الأوربية كلها تقريباً تدين بالنصرانية لذا يمكن أن يدعم بعضها بعضاً في هذا المجال بغض النظر عن اختلاف المذاهب والتباين بين الفرق ، كما يرى الأوربيون أن هؤلاء النصارى من أبناء البلاد المستعمرة يمكن في يوم من الأيام أن يحلُّوا مكانهم في الحكم دون أن يتغير شيء أو دون أن يحدث اختلاف واضح في السياسة ، إذ أن الديانة تجمع بين الطرفين ، ولربما وقفوا أكثر منهم أمام انتشار عقائد وديانات أخرى ، بل ويمكن أن يحاربوا بجانبهم إذا ما دعت الضرورة حيث تربط الديانة بين الجانبين فعدوهم واحد وهو المباين لهم في العقيدة،وصديقهم واحد وهو ابن ديانتهم ، وهدفهم واحد ، وإذا حدث ما يعكر الصفو بين الجانبين بسبب بعض المصالح يمكن أن تحلَّه الكنيسة وإرسالياتها.

وجاءت الأرساليات التبشيرية ، وركَّزت الجهد على البدائيين ، وتعهدت في سيراليون مجموعة (الكريول) المولدين في جزر الأنتيل (جزر الهند الغربية) ، إذ عُمِّدوا هناك ، وانتموا إلى النصرانية انتماء . ولقد حرصت الارساليات على تعليم هؤلاء (الكريول) ، وتثقيفهم ثقافة نصرانية خاصة ، ثم اعتمدتهم في كثيرٍ من الوظائف والأعمال الادارية حيث غدوا متميزين عن غيرهم من سكان مستعمرة فريتاون ومحمية سيراليون ، كما اعتنت بهم صحياً ، ثم عملت على ردّ المسلمين عن دينهم ما أمكنها ذلك .

وعملت الارساليات التبشيرية على الوقوف في وجه الإسلام الذي يعد أتباعه قلة آنذاك ، فمنعتهم من الانتساب إلى مدارسها والدخول في مشافيها والإفادة من خيرات الأرض إذ حرصت على سلب أرضهم وأخذ أملاكهم في سبيل إفقارهم وجعلهم يلتجئون إليها نصارى مستسلمين .

٢ ـ التفرقة : اتخذ الانكليز في سيراليون كما اتخذ المستعمرون في كل مكان سياسة التفرقة بين السكان وذلك من أجل إبقاء السيطرة لهم ، فقد عملوا على زيادة الخلاف القبلي بين أكبر المجموعات وهي (التمني) و (الماندي) وشحن الطرفين بالحقد والبغضاء بعضهم ضد بعض ، كما قسموا البلاد إلى عدد كبير من التنظيمات وصلت إلى ١٤٤ زعامة ، وأبقوا نقاط خلاف بين هذه الزعامات يمكن أن يثيروها في أي وقت ، كما أبرزوا شعور (الكريول) بالتفوق الثقافي على الآخرين .

٣ ـ التعليم : إلى جانب مدارس التبشير النصرانية افتتحت وزارة المعارف الانكليزية بعض المدارس ، وكانت المناهج موجهة حسب التعاليم النصرانية وحسب مقتضيات المصالح الاستعمارية ، وهي لا تختلف كثيراً عن مدارس الارساليات ومناهجها ، ولم تسمح بانتساب المسلمين إليها إلا ضمن شروط وهي أن يغيِّر الطالب اسمه ليصبح اسماً نصرانياً على الأقل أو ليقبل على عقيدة المستعمرين كلياً ، وذلك كي يبقى المسلمون في حالةٍ من التأخر . وفي الوقت نفسه فقد أحجم أكثر المسلمين عن الدخول والالتحاق بمثل هذه المدارس خوفاً على عقيدتهم وأنفسهم من توجيه المستعمرين الذي يمسّ بمبادئهم

ودينهم الأمر الذي أبقاهم في حالةٍ من الجهل والتأخر ، على حين سبقهم غيرهم ممن أقبل على التعليم والانتساب إلى مدارس المستعمرين .

٤ ـ الصحة : لم تعتن انكلترا بالصحة عناية كبيرة ، وإنما أبقت الأمراض تنتاب السكان ، ثم بدأت ببناء بعض المستوصفات والمشافي ، واقتصرت في ذلك على (فريتاون) وما حولها حيث يقيم المستعمرون و (الكريول) ، أما المدن الأخرى والقرى فبقيت على ما كانت عليه ، ولم يتوجه المسلمون إليها إذ كانت أشبه ما يكون بالمشافي التي أقامتها الارساليات التبشيرية ، وإذا ما حدث أن دخل إليها أحد المسلمين فإنه يمرّ بمرحلة يتلقى خلالها التوجيه وعقيدة التثليث ، وهو يعاني من الألم ما يعاني ، ويجب أن يسرع في إظهار الموافقة والقناعة حتى ينال العلاج سريعاً ، وقد يسجل في عداد النصارى بناء على هذه المعالجة لذا أحجم المسلمون عنها أيضاً ، وفضّلوا بقاءهم تحت تهديدات الأمراض من أن يخضعوا لتأثيرات عقيدة المستعمرين ، فإن أصعب شيء على المرء أن يغيّر عقيدته أو أن يضطر لسماع ما يخالفها ولا يستطيع أن يبدي إلا الموافقة مكرهاً .

٥ ـ الدعاية : كان الاستعمار يشيع بين السكان أن الإسلام دين العرب وقد جاءوا به من الشمال، إذ أراد حملته وهم العرب نشره في هذه المناطق ليتسلطوا عليها من وراء عقيدتهم التي يبثونها بين الأهالي ، ولكن هذه الدعاية لم تجد لها صدىً واسعاً ، إذ وجد السكان أن المسلمين الدعاة إنما هم من السود ، وقد جاءوا من غينيا ، ولهذا لم يقبلوا هذه الدعاية ، وفي الوقت نفسه فقد لاحظوا أن

المستعمرين هم الذين يختلفون في الديانة عنهم ، ويريدون أن يفرضوا هذه الديانة على السكان ، ويستعمروا البلاد ، ويشعروا بالتفوق على أبناء إفريقية عامة ، وأخيراً بدأ المستعمرون يعلنون أن الإسلام بين السود يختلف عن الإسلام عند العرب ولعل في هذا بعض الأمر حيث الاختلاف في التطبيق واضح إذ أن السود لا يزالون يتأثرون بالبيئة ، فالنساء لا يحتجبن بسبب شدة الحرارة وكثرة الرطوبة ، كما لا تزال رواسب الجاهلية المنتشرة في الوسط الذي يعيشون ، وتؤثر فيهم ، وعلى كلٍ فهذا الخلاف ليس إلا في التطبيق ولا يصل إلى الجوهر ، فالإسلام قد وصل إلى هؤلاء السود حديثاً ، فلم يعرفوا حقيقته وجوهره بعد ، ومتى عرفوا عقيدة الإسلام الصافية عملوا على تطبيقها والتقيد بها .

٦ ـ نشر الخرافات : ولما لم تجد الطرق السابقة من قبل الاستعمار وبقي انتشار الإسلام واسعاً ، لذا فقد عمل على تشجيع نشر الخرافات بين المسلمين ، وتشجيع الرجالات القائمين على هذه الخرافات ، وذلك من أجل إفساد عقائد المسلمين ، والتهديم من الداخل ، ولإظهار الفرق بين إسلام السود وإسلام البيض ، لذا فقد فسح الاستعمار المجال أمام الفرق والطرق الصوفية كي يترك المسلمون فكرة الجهاد وقتال المستعمرين والتقاعس عن العمل والزهد في هذه الحياة الدنيا وتركها للأجانب وعملائهم يعملون فيها ويكون المسلمون تبعاً لهم هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فقد عمل المستعمرون على دب الخلاف بين أفراد الفرق والطرق .

٧ ـ نشر الفساد : شجع الاستعمار على نشر المفاسد وعمل

المنكرات ومعاقرة الخمرة والاختلاط بين الرجال والنساء ، وأشاع أن هذا من باب المدنية والحضارة والتقدمية .

وفتح الاستعمار الباب على مصراعيه امام عمل الارساليات التبشيرية النصرانية ، ومدها بكل إمكاناته وما يضمن لها الاستمرار والنشاط ، وأوصده أمام كل عمل إسلامي أو أي تحرك يمكن أن يؤدي إلى خدمة الإسلام أو اتصال مع المسلمين الآخرين خارج سيراليون .

٨ ـ القاديانية : وهي فكرة استعمارية أخذت الصفة الدينية ، أوجدها الانكليز في شبه القارة الهندية أثناء استعمارهم لها ، لزعزعة المسلمين عن عقيدتهم ، وايجاد التفرقة بينهم ، وتمكين انكلترا من حكمهم ، وقد سمحت لمن اعتنق هذه الفكرة أن يهاجر إلى أي بلد يخضع لنفوذها ، ويجد هناك كل حرية ومساعدة ، وفتحت لهم ميادين العمل والدعوة لفكرتهم الجديدة الخبيثة ، ومدتهم بكل وسائل الدعم والتأييد .

تقوم هذه الدعوة على وجوب طاعة الحكام الانكليز حيث أنهم أولوا الأمر ، وتعتقد بأن غلام أحمد هو المسيح المنتظر ، وهو نبي هذه الأمة الجديد الذي جاء يجدد ما جاء محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، ثم تطورت إلى إن غلام أحمد تحل فيه الروح الالهية ، ومن لا يؤمن بهذا من المسلمين كافراً ، وأتباعها ينفون عن أنفسهم اسم المسلمين ولهم مراكز عبادتهم الخاصة ، وشعائرهم المستقلة .

انتقلت الدعوة القاديانية من الهند الى إفريقية، وأول ما ظهرت هناك في نيجيرية، ومنها انتقلت إلى غانا ثم وجدت لها أرضاً خصبة في

سيراليون وكان المبشر الأول هناك (نظير أحمد علي) الذي انتقل إليها من غانا ، واستقر هناك عام ١٣٥٨ هـ ، وقد فشل بعد أن لقي بعض النجاح في مدينة (باؤماهون) حتى أسس مدرسة ابتدائية في تلك المدينة ، إلا أن انتشار مرض الجدري هناك قد أضعف شأن المدينة فهجرها كثير من الناس ، واضطر هولتركها ، وأخيراً وجد النجاح في مدينة (بو) التي أصبحت مركز قيادة التبشير القادياني في سيراليون ، إذ أقامت الجماعة داراً للطباعة ، وقاعة للمطالعة ، ومدرسة ابتدائية ومتجراً كبيراً ، وبقي نظير أحمد علي حتى مات عام ١٣٧٥ هـ .

وقد قلّ شأن القاديانية في سيراليون بعد الاستقلال ، ويقدّر أتباعهم اليوم في سيراليون بألفين وخمسمائة رجل ، ولهم عشر مدارس ، وثانوية واحدة ، وأكثر الموظفين من هذه الجماعة إنما هم غرباء ، ومن باكستان بصورة خاصة إذ استقدمتهم انكلترا أثناء استعمارها البلاد لنشر هذه الدعوة خدمة لمصالحها هناك .

وهكذا بقي المسلمون تحت رحمة الجهل والفقر والمرض وسوء التغذية والتفرقة والنزاعات القبلية وانتشار الفساد والخرافات بينهم مكرهين مضطرين بسبب السياسة الاستعمارية التي سارت عليها انكلترا باسم العلم والتقدمية والحضارة وإظهار التفوق في مجالات الحياة كلها . أما الحضارة بالمعنى الإنساني فلم يعرفها الماديون أبداً وخاصة في هذا العصر إذ فقدت الانسانية كل معنى من معانيها ، ولم تبق سوى الحضارة المادية التي ينظر إليها الناس المفتونون بالحضارة الغربية نظرة إعجاب وإكبار ، ويرون في أنفسهم الضعة والمذلة .

الإسْتِقلال

كانت (فريتاون) مستعمرةً خاصة ، وسيراليون محمية خاصة ، واستمر ذلك حتى عام ١٣٤١ هـ ، حيث حكمتا بعد ذلك عن طريق مجالس تشريعية وأخرى تنفيذية موحدة ، فكان يمثل (فريتاون) ثلاثة أعضاء عن طريق الانتخاب ، ويمثل المحمية ثلاثة أعضاء من رؤساء القبائل ، وبقي ذلك حتى الحرب العالمية الثانية ، وبعد تلك الحرب رفض (الكريول) مشروعاً للانتخاب العام وإقامة حكومة تمثل جميع السكان بصورة متساوية ، وذلك لأنهم رأوا أن في هذه المساواة إضاعة لسيطرتهم ، وقد كانوا يشعرون بالتفوق على بقية السكان بثقافتهم التي هيأها لهم المستعمرون .

كان المجلس التشريعي يتألف من الحاكم ونائبه وعضوين يمثلون المصالح التجارية واثني عشر عضواً يمثلون زعماء القبائل ، وينتخب باقي الأعضاء انتخاباً ليكون عدد الأعضاء واحداً وثلاثين عضواً .

أما المجلس التنفيذي فيتكون من ثمانية أعضاء ، ينتخب نصفهم انتخاباً ، وقد استطاع (الكريول) أن يحصلوا على أربعة مقاعد في المجلس التنفيذي ، وحصل حزب الشعب السيراليوني الذي نشأ حديثاً على مقعدين من الأعضاء المنتخبين ، ونتيجة ذلك انضم (الكريول) إلى حزب الشعب الأمر الذي جعل الحاكم يمنح المقعدين الباقيين للحزب نفسه ، وفي عام ١٣٧٤ هـ سمي هؤلاء الأعضاء وزراء ، وتخلّى الحاكم الانكليزي عن السلطات التي كان يتمتع بها ،

وبدأت الحكومة في أفرقة بعض الادارات المدنية .

وفي عام ١٣٧٦ هـ حدثت ثورة الفلاحين التي طالبت باستقلال البلاد والحد من سلطة زعماء القبائل الأمر الذي أجبر الحكومة على توقيف الزعماء القبليين ، وأصبح الاستقلال مطلباً وطنياً .

جرت انتخابات عامة سنة ١٣٧٧ هـ ، وحصل فيها حزب الشعب السيراليوني على ستة وعشرين مقعداً من أصل واحد وثلاثين مقعداً ، وفي العام التالي حُدّ من سلطة الحاكم البريطاني ، وظهر في الوقت نفسه حزب جديد هو حزب الشعب الوطني الذي بدأ يطالب بالاستقلال ، وقد انتشرت هذه الفكرة بسرعة بعد استقلال غينيا الجارة الكبيرة في ذلك العام ، ثم ظهرت عدة أحزاب منها المجلس الإسلامي ، والحزب الاشتراكي ، وبلغ عدد الأحزاب في سيراليون آنذاك تسعة أحزاب أجمعت كلها على المطالبة بالاستقلال ، واندمجت في جبهة واحدة ، وطالبت بريطانيا بالجلاء عن البلاد ، وألفت وفداً يمثلها ، فسافر إلى لندن عام ١٣٨٠ هـ ، وعندما عاد الوفد شكل أعضاؤه حكومة ائتلافية استطاعت أن تظفر بالاستقلال في ٢٧ نيسان ١٣٨١ هـ ضمن رابطة الشعوب البريطانية ، وقبلت في عضوية الأمم المتحدة ، وكانت العضو رقم (١٠٠) .

يبدو ان الاستقلال لم يكن سوى اتفاق بين بريطانية والحكومة السيراليونية ، لذا كانت المعارضة شديدة في وجه الحكومة ، وتطالب هذه المعارضة باجراء انتخابات عامة ، إلاّ أن الدستور كان قد قرر ، وتمثلت هذه المعارضة بحزب المؤتمر الشعبي العام الذي تشكل من أعضاء حزب الشعب الوطني الذين انفصلوا عن حزبهم وانضموا إلى أعضاء من الحزب التقدمي المتحد مشكلين الحزب المذكور «المؤتمر الشعبي

العام» .

ووفقاً للدستور فإن المملكة البريطانية تنيب عنها الحاكم العام الذي تعينه بناء على توصية من رئيس الحكومة الوطنية ، وتتألف الوزارة من رئيس لها يختاره الحاكم العام ، وأما باقي الوزراء فيعينهم الحاكم العام بناء على توصيةٍ من رئيس الوزراء ، ويجب أن يكونوا أعضاء في مجلس النواب ، وتضم الوزارة خمسة وزراء مسلمين .

أما مجلس النواب فيتألف من ستين عضواً ، ويشترط في العضو أن يكون قد جاوز الخامسة والعشرين من العمر ، وأن يجيد اللغة الانكليزية لغة المجلس النيابي .

وجرت انتخابات عامة سنة ١٣٨٧ هـ نجح فيها حزب المؤتمر الشعبي العام ، وأصبح زعيمه (سيكاستيفنز) رئيساً للوزراء ، ولكنه لم يلبث أن وقع انقلاب عسكري يوم ٢١ آذار في اليوم الذي تسلم فيه (سيكاستيفنز) رئاسة الوزارة ، وقد قاد هذا الانقلاب (دافيد لانسانا) ، وبعد يومين فقط حدث انقلاب مضاد قاده زعماء الجيش والشرطة ، وقرروا بعد نجاحهم إنشاء (مجلس وطني اصلاحي) برئاسة العميد (اندرو جاكسون سميث) .

وبعد عام وفي ١٨ نيسان ١٣٨٨ هـ أطاح زعماء الجيش والشرطة بالمجلس الوطني الاصلاحي ، وشكلوا حركة ثورية ضد الفساد عرفت باسم A.C.R.M. ، واختارت الوزارة من أعضاء الحزبين الكبيرين في البلاد وهما : حزب المؤتمر الشعبي العام وحزب الشعب الوطني السيراليوني ، وأصبح رئيس الوزارة (سيكاستيفنز) مرة ثانية .

تعدّ سيراليون بلاداً زراعية إذ تبلغ نسبة الذين يعملون في هذا القطاع ٧٥٪ من القوى العاملة في البلاد ، وتعدّ الأراضي الساحلية غير صالحة للزراعة بسبب المستنقعات وملوحة التربة وما إلى ذلك ، وتليها من جهة الشرق الأرض المخصصة لزراعة الكاسافا والفواكه والخضراوات وهي للاستهلاك المحلي،وكذلك الرز الذي يعد الطعام الرئيسي للسكان ، ولا يكفي الانتاج الاستهلاك على الرغم من التشجيع الكثير لهذا النوع من الزراعة ، وأهم الأصناف التي تنتجها البلاد هي :

الرز	:	وتنتج	٦٠٠,٠٠٠	طن .
الفول السوداني	:	وتنتج	١٩،٠٠٠	طن .
نخيل الزيت	:	وتنتج	٥٦,٠٠٠	طن .
الذرة	:	وتنتج	١٤,٠٠٠	طن .
البندق	:	ونتج	٩,٠٠٠	طن .
الدخن	:	وتنتج	٩,٠٠٠	طن .
الكاسافا	:	وتنتج	٨٩,٠٠٠	طن .
جوز الهند	:	وتنتج	٢٠,٠٠٠	طن .
الكاكاو	:	وتنتج	٦,٠٠٠	طن .
البن	:	وتنتج	١٠,٠٠٠	طن .

وهناك زراعات أخرى مثل الكولا ، والحمضيات ، والموز الذي تقوم على زراعته شركة ألمانية ، والكتان ، والزنجبيل .

لمحة اقتصاديّة

ومن هذه الزراعات ما هو للتصدير مثل : الكاكاو الذي بدأت زراعته عام ١٣٤٣ هـ ، وأهم مناطقه (كينيما) و (كايلاهون) و (بوجيهون) ، وتصدر من هذه المادة ٢٠٠٠ طن سنوياً، وكذلك النخيل الزيتي والبن والكولا والحمضيات والكاسافا .

الغابة : تحتل الغابة مساحة في سيراليون تزيد على ٣٠٠٠ كيلومتر مربع ، وتؤخذ منها أخشاب وصلت الى ٢٧٠٠ متر مكعب سنوياً ، وهذا يزيد على حاجة البلاد فتصدر جزءاً منها .

الثروة الحيوانية : تعد الثروة الحيوانية محدودة في سيراليون بسبب المناخ وذبابة تسي تسي التي تحدّ من انتشار الحيوانات ، وتقدر هذه الثروة بالشكل التالي :

الماعز	:	١,٣٥٠,٠٠٠	رأس .
الأبقار	:	١٧٠,٠٠٠	رأس .
الأغنام	:	٤٦,٠٠٠	رأس .

ويقدر عدد الدواجن بمليون دجاجة .

صيد الأسماك : بدأت تتطور صناعة صيد الأسماك بعد إدخال الوسائل الحديثة ، وأكثر أنواع السمك التي يصيدها السكان هي : السردين ، والبونكا ، وتقدر الكمية المصطادة بـ (٥٠,٠٠٠) طن سنويا، ولا تزال البلاد تستورد من الأسماك، إذ أن هذه الكمية لا تكفي الاستهلاك المحلي .

الثروة المعدنية : تقدر نسبة العاملين في المناجم والتعدين بـ ٥٪ من القوى العاملة ، وهي نسبة قليلة إذا علمنا أن البلاد غنية بثروتها

المعدنية ، والتي أهمها : الماس ، وتمثل صناعته ٥٠٪ من صادرات البلاد ، وتتركز في مدينة (بو) . وهناك الأحجار الكريمة الأخرى واللآلىء ، وتعد ٣٠٪ من الصادرات أيضاً ، ويجري التنقيب عن الذهب ، وتنتج كميات قليلة منه ، كما يجري التنقيب عن البوكسيت (أوكسيد المنيوم) ، وتستثمر البلاد الحديد ، ويقدر انتاجها السنوي بـ ١,٥٠٠,٠٠٠ طن ، والكروم وتنتج منه ١٧,٠٠٠ طن .

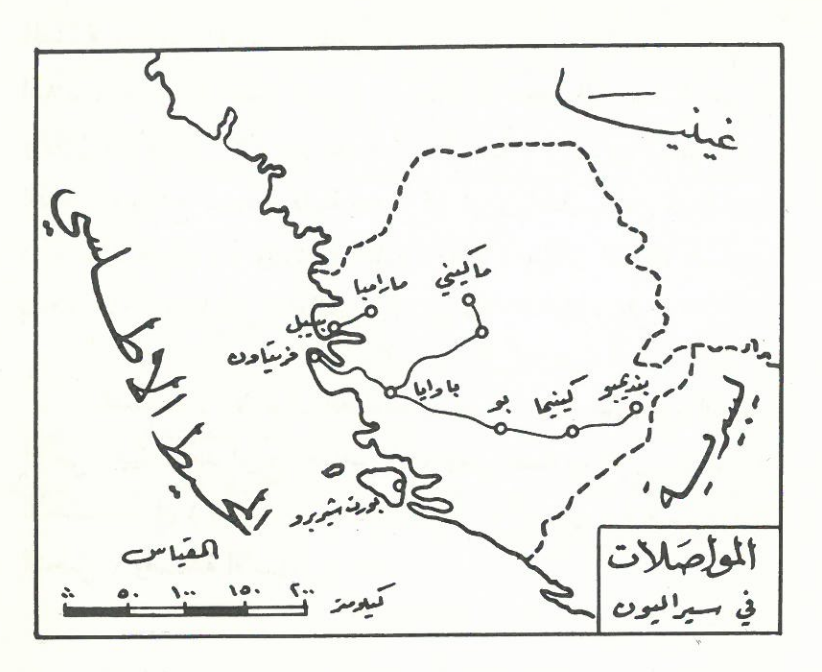
الصناعة : لا تزال الصناعة بسيطة تتركز على عصر النخيل الزيتي حيث توجد أربع معاصر له ، وعلى مضارب الرز ، وصناعة الأخشاب في (كينيما) ، وهناك الغزل اليدوي ، وتكسير نواة النخيل ، وصناعة الأسماك .

التجارة : تصدر سيراليون الماس واللآلىء وحبوب النخيل (النواة) ، والكاكاو ، والبن ، والكولا ، والنخيل الزيتي ، والكاسافا ، والحمضيات ، والحديد ، والكروم .

وتستورد القمح ، والرز ، والنفط ، والدهان ، والمنسوجات والأدوات الكهربائية .

وأهم الدول التي تتعامل معها هي : انكلترا ـ ألمانية الغربية ـ هولنده ـ اليابان .

ويعدّ الميزان التجاري رابحاً منذ عام ١٣٨٨ هـ .



النقد : العملة المتداولة هي الجنيه الاسترليني ، وفي البلاد عملة تعرف باسم (ليون) ، ويعادل ٤ / ١ جنيه ، أو دولاراً وربع الدولار .

المواصلات : توجد طرق معبدة يزيد طولها على ٥٥٠ كلم تصل العاصمة مع مدن المقاطعة الجنوبية ، ثم تصل إلى ليبيريا وغينيا عند التقاء حدود الدول الثلاث .

أما الخطوط الحديدية فلا يوجد سوى خط واحد يبلغ طوله ٣٦٥ كلم ، ويصل العاصمة بالمدن التالية : (باوايا) (بو) (كينيما) وينتهي في مدينة (بنديمبو) قريباً من حدود ليبيريا ، ويتفرع من مدينة (باوايا) فرع يذهب إلى الشمال حيث يصل إلى مدينة (ماكيني) ويبلغ طوله ١٢٥ كلم . وهناك خط قصير يصل (مارامبا) بميناء

(بيبل) حيث ينقل فلزات الحديد من منطقة (مارامبا) إلى ساحل المحيط الأطلسي حيث تصدر .

الملاحة : تعد العاصمة أهم مرفأ للاستيراد ، أما ميناء الصادرات فهو بونث (شيربرو) إلى الجنوب من (فريتاون) وعلى بعد ١٢٠ كلم منها ، وميناء (بيبل) هو لتصدير الحديد .

الطيران : يوجد مطار دولي في البلاد في ضاحية (فريتاون) وهي (لونجي) أما الخدمات الداخلية فتقدمها شركة خطوط سيراليون حيث تصل المدن بعضها مع بعض برحلات يومية .

المراجع

١ ـ تقويم البلدان الإسلامية .

إصدار الأمانة العامة لمؤتمر العالم الإسلامي ـ كراتشي ١٣٨٤هـ.

٢ ـ جغرافية العالم :

جمال الدين الدناصوري ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة .

٣ ـ سيراليون وليبيريا :

محمد اسماعيل محمد ـ سلسلة الألف كتاب ١٣٨٢ هـ .

٤ ـ قسمات العالم الاسلامي :

مصطفى مؤمن ـ دار الفتح ـ بيروت ١٣٩٤ هـ.

٥ ـ مجلة الجامعة الإسلامية (المسلمون في سيراليون)

أحمد صالح المحايري ـ عدد شوال ١٣٩٦ هـ.

٦ ـ مواطن الشعوب الإسلامية :

محمود شاكر ـ سلسلة كتب .

الفهرس